قال المصنِّفُ : (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعالَى) .

الشَّرحُ : قولهُ : (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ) هذه الثلاثةُ : (الإِسْلامُ ، والإيمانُ ، والإِحْسَانُ) ؛ ذُكِرتْ في حديثِ جبريلَ المشهورِ ؛ الذي أخرجه مسلمٌ في " **الصَّحِيْح** " عن عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** »، قَالَ : صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : « **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ** » [(١)] .

---

(١) أخرجه مسلمٌ (رقم : ٨).

○ **فطالبُ العلم لابُدَّ أن يَكُون :**

● **حسَنَ المَظْهَرِ** ؛ لقولِهِ : « إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ » .

● **سَلِيْمَ القَلْبِ** ؛ لأنَّ أمراضَ القلْبِ تَحْجِبُ الفَهْمَ ، وتَمْنَعُ العِلْمَ مِنَ الثَّبَاتِ .

● **طِيْبَ اللسَانِ** ؛ فلا يَنْبَغِي لطالب عِلْمٍ أنْ يتكلَّم إلاَّ بما فيه مصلحةٌ لَهُ ، أَوْ لِغَيْرِهِ ، وإلاَّ ؛ فالصَّمْتُ أَوْلَى ؛ عَمَلًا بحديثِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** »(١).

فلابُدَّ أن يتحلَّى طالبُ العلم بهذه الصفات ؛ فجبريلُ عليهِ السَّلامُ جاءَ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصورةٍ طيبةٍ ، وبثيابٍ نظيفةٍ ، ليس عليه أثرُ غبارٍ ، مرَجّلاً شعرَهُ ، وقد جَلَس بأدبٍ على الأرض ؛ مسندًا ركبتيه إلى ركبتي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا دليلٌ على استحباب اقتراب طالب العلم من معلِّمِهِ عند تلقِّي الدَّرْسِ ؛ فكلَّما اقترب من معلِّمِهِ كانت الفائدةُ أكبرَ، وكُلَّما بَعُدَ طالبُ العلم عن معلِّمه بَعُدَتِ المسافة ؛ فيمكن أن يَشْرُدَ ذِهْنُهُ ، أو يَلْتَفِتَ لشيءٍ، ولكن جبريل عليه السَّلامُ جلَسَ بالقُرْبِ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حتى يتسنَّى له الاستماعُ الجيِّدُ ، ويستفيدَ من علمِهِ .

● « **وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ** » ؛ فوضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبَدَأَ يسألُهُ .

● « **قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ** » ؛ فكان جبريل عليه السَّلامُ يسأل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يصدِّقُهُ ؛ فتعجَّبَ الصَّحَابَةُ من ذلك ؛ فسألَهُ عن الإسلام ؛ فعَدَّ له أركانَهُ ؛ فقال له : " صَدَقْتَ " ، وبَاقِي طلاَّبِ العِلْمِ ، وهم الصحابة ، جلوسٌ – معهُ – في قمَّة الأدبِ ، لم يقاطِعُوا مُعَلِّمَهُم ، وهو رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنَّهم متعَجِّبُون من ذلك .

وهذا – أيضًا – أدبٌ من آدابِ طالبِ العِلْمِ : ألاَّ يقاطِعَ إذا تكلَّم ؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٤٧٥) ، ومسلمٌ (٤٧).

تشويْشِ فِكْرِهِ ، وقلَّةِ تَرْكِيْزِهِ ، وليس التأثِيْرُ عَلَى المعلِّمِ فَقَطْ ؛ فالمعلِّمُ يمكنُ أن يتأثَّرَ قليلاً ، ولكنْ طالبُ العلْمِ هُوَ الذي يَقعُ عليه الضَّرَرُ الأكبَرُ ؛ لأنَّهُ كلَّما ضعُف تركيزُهُ ، قلَّتِ الاستفادةُ من الدَّرْسِ ، وكلما قَوِيَ التركيزُ والانتبَاهُ ؛ كانت الاستفادة أعلى وأفضل ، وهذا كان حال جبريل عليه السَّلامُ ؛ فكان يُعلِّم الصحابةَ .

○ شِدَّةُ المراقبةِ مِنْ إحسانِ العَبْدِ :

فرَّق – في الحديْثِ – بين الإسلام والإيمان ؛ فذَكَرَ أركانَ لإسلام ، وذَكَرَ أركانَ الإيمان ، ثُمَّ ذَكَرَ الإحسانَ ؛ فقال : « **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » ؛ فينبغي على العبد أن يظَلَّ في حالةٍ من المراقبة والخوف من الله ؛ في حركاتِهِ وسَكَنَاتِهِ ، وفي أقوالِهِ وأفعالِهِ ؛ لِعِلْمِهِ أنَّهُ يراهُ ؛ فالعبد لا يرى ربَّهُ في الدنيا ، ولكنَّهُ يَراهُ في الآخِرَةِ ؛ فَشِدَّةُ المراقبةِ من إحسان العبد تصل به إلى درجة الإحسان ، وهذه المرتبةُ مَا ثَمَرَتُهَا ؟ إنَّهُ لا يَسْتَطِيْعُ عِصْيانَ ربِّهِ؛ لأنه متيَقِّنٌ أَنَّهُ يَرَاهُ ، ولَنْ يَقَعَ في مَعْصِيَةٍ ؛ إلاَّ بِزَلَلِ هَفَوَاتِ البَشَرِ .

○ علاماتُ الساعة ؛ منها ما ظهر ، ومنها ما لم يظهر :

ثم قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ، قَالَ : « **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** » ؛ فسأله عن وقتِهَا ، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا عِلْمَ له بِذَلِكَ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٧] ، وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [النازعات:٤٢] ؛ فلا أَحَدَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعِةِ .

ثم قال له : « فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا » ؛ أي : علاماتِ السَّاعَةِ ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ العَلامَاتِ ، ولَكِنْ عَلامَاتُ السَّاعَةِ كَثِيْرَةٌ (جِدًّا) ؛ لأنَّ منها : كُبْرَى وصُغْرَى ، ومِنْهَا مُقَدِّمَاتٌ قبلَ قيامِ السَّاعَةِ ، وقد ذَكَرنَا أَنَّهُ لا يُوجَدُ تَرْتِيبٌ لهذه العلامات في كتابِ اللهِ ، ولا في سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن هناك علامةٌ إذا ظهرت لا تُقْبَلُ التوبةُ وقتَهَا ، وهي خروجُ الشَّمْسِ مِنْ

مغْرِبِها ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨] ، ثم تَتوالى العلاماتُ في الظُّهُورِ ، والعلاماتُ الصغرى ، منها ما ظَهَرَ ، ومنها ما لم يَظْهَرْ بَعْدُ ، وهذا لابُدَّ أن نعلَمَهُ .

❑ **والعلاماتُ التي ظهرت كثيرةٌ ، منها : ما ذُكر في الحديث ، كما يلي :**

١ – أنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشاةِ يَتَطَاوَلُون في البُنْيَانِ :

وهذا – فيما نظنُّ – قد حَدَثَ ؛ فلو نَظَرْنَا إلى دول الخليج ؛ فقد كانوا فقراء بُسَطَاءَ ، وكان كثيرٌ منهم يمشُونَ حُفَاةً من شدَّة فقرهم ؛ فكانوا رعاةً للغنم ، ثم وأصبح هؤلاء يتطاولون في البنيان ؛ فأطول بُرْجٍ في العالم يقَعُ في دُبَيّ – بدولةِ الإماراتِ – ، وهو المسمَّى بِـ : (بُرْج خليفة) ؛ فهو حوالي مائةٍ وسبعٍ وستينَ طابقًا ؛ فانظروا فيما تُنْفَقُ أموالُ المسلمين ؟! وهذه علامة من علامات الساعة أنهم يتطاولون في البُنْيَانِ ، وَهَذَا من دلائل النبوة ، ودليلٌ على صدقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورَدٌّ على السُّفَهَاء الذين يَطْعنون في الأحاديث ؛ فمن الذي أخبرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أكثر من ألف وأربعمائة سنةٍ بذلك ؟ فمُنْذُ ثلاثةِ قرونٍ لم يكُنْ هُنَاكَ شيءٌ من ذلك .

فمن خلال دراسة علامات الساعة ترى صِدْقَ النُّبُوَّةِ ، وتَتَيَقَن صِدْقَ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلو قرأ الكافِرُ علامات الساعة سَوْفَ يُسْلِمُ بإذن اللهِ ؛ لأنَّ هذه العلامات أخبر الشرعُ عنها من ألف وأربعمائة سنة ، ثم في زمنٍ قريبٍ بَدَأَ يَظْهَرُ ما أخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به.

٢– أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا :

وهي (أيضًا) من العلاماتِ ، وقد ذَكَرَ العلماءُ فيها أقوالاً ؛ منها : أنَّ الابْنَةَ تكون عاقَّةً لأُمِّها ، وهذا العقوق نحنُ نراه اليوم !! فتقفُ البِنْتُ ، وتتكلَّم مع أمِّهَا ؛ كأنها تخدُمُ عندها ، والأمُّ تتودَّدُ إليها ، والبِنْتُ تُقَابِلُ كلَّ ذلك بالعقوقِ !!

فهاتان علامتان من علامات الساعة ، ولكن علامات الساعة كثيرة (جدًّا) .

● " قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ » قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » ؛ فَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأشياءَ ؛ مناصحةً ، وبيانًا لجملةِ الدِّين ، وليس من بابِ التَّفْصِيْلِ ؛ فَذَكَرَ الإسلام والإيمان والإحسان ، وهذا ؛ إجمالاً ، والتفاصيلُ أكثر من ذلك.

○ هناك كلماتٌ إذا أُطلق لفظٌ مِنْهَا شَمَلَ الآخَرَ :

لابد أن ننتَبِهَ أنَّ هناك كلماتٍ إذا أُطلق لفظٌ منها شمل الآخر ، وإذا اجتمعت في نصٍّ واحدٍ يفترقون ؛ فإذا ذُكر الإيمان والإسلام ؛ فهذا يدل على أن الإيمان شيءٌ ، والإسلام شيءٌ آخرُ ، ولكن إذا ذُكِرَ الإسلامُ – فقط – ، وأطلق اللفظ ؛ فإنه يشمل الدين كلَّه ، وكذلك إذا ذُكِرَ الإيمانُ – فقط – ؛ فهو يشمل الدين كلَّهُ ، وكذلك الإحسان.

● **أمَّا (الإسلامُ) ؛** فهو الأركَانُ الخَمْسَةُ التي جَاءَتْ في حَدِيْثِ جِبْرِيْلِ – المتقدِّمِ – ، وهي: " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمَّدًا رسول اللهِ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ".

● **والإيمانُ – لغةً – :**

قال ابنُ فارسٍ – رحمه الله – : " (أَمَنَ) الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ :

أَحَدُهُمَا : الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ ، وَمَعْنَاهَا : سُكُونُ الْقَلْبِ .

وَالْآخَرُ : التَّصْدِيقُ .

وَالْمَعْنَيَانِ – كَمَا قُلْنَا – مُتَدَانِيَانِ ..

وَأَمَّا التَّصْدِيقُ ؛ فَقَوْلُ اللَّهِ – تَعَالَى – : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [يوسف: ١٧] ؛ أَيْ : مُصَدِّقٍ لَنَا " [1] .

---

(١) " مقاييس اللغة " (١/١٣٣-١٣٥) .

● **وفي الشَّرْعِ :**

الإيمانُ عند السلف وأهل الحديث : قولٌ وعملٌ ، وعند المتأخرين أضافوا : (النية) ؛ فمعلوم أنَّ العَمَلَ بلا نِيَّةٍ لا يُقْبَلُ ؛ لأنَّ بَعْضَ الناس لابُدَّ أَنْ تُفَسِّر لهم أكثرَ وأكثرَ ؛ فالسلف – المتقدمون – كانوا يتكلَّمُون بكلماتٍ مختصرةٍ في أزمانهم ، ولكنه كلَّما تأخر الزمنُ بدأنا نحتاجُ إلى تفصيلٍ أكثرَ ؛ لأن اللغة والعلمَ ضعُفَ كثيرًا ؛ فاضطر العلماء لمزيدٍ من البيانِ .

فلو نظرنا في كتب المتقدِّمِيْنَ لوَجَدْنَاهُم يَقُولُون : إنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ، وإذا نظرتَ في كُتُبِ المتأخِّرِيْنَ وَجَدْتَ أنّهم يَقُولُون : إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ ، يزيدُ وينقصُ ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ ففي كلامهم تفصيلٌ أكْثَرُ ، ولكن المعنى كلُّهُ واحِدٌ .

إذن ؛ الإيمانُ : قولٌ وعملٌ ونيةٌ ، والأعْمَالُ كلُّها داخلةٌ في مسمى الإيمان.

قال ابْنُ رجبٍ – رحمه الله – ([1]) : " وأكثر العلماء قالوا : هو قولٌ وعملٌ . وهذا كلُّه إجماعٌ من السلف وعلماء أهل الحديث . وقد حكى الشافعيُّ إجماعَ الصحابة والتابعين عليه ، وحكى أبو ثورٍ الإجماعَ عليه – أيضًا – " .

فالشافعيُّ – رحمه الله – نقل الإجماع على ذلك ؛ فلا أحَدَ مِنَ السَّلَفِ يَقُولُ : إنَّ هُنَاكَ إيمانًا بدون عملٍ ، ولكن الذي يقول ذلك ؛ هم المرجئةُ .

فالمرجئةُ يَقُولُونَ : إنَّ الإيمانَ يَصِحُّ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، ولا يَضُرُّ معه مَعْصِيَةٌ ، ومعنى كلامهم : أن العبد إذا قال : أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ثم أَتَى بكبائر وصغائر ؛ فإيمانُهُ كاملٌ ؛ كإيمان جبريل ، وإن لم يأتوا بعمل على الإطلاق غير الشهادة ؛ فهؤلاء يُخْرِجُون الأعمال من مُسَمَّى الإيمان.

أما عقيدةُ أهلِ السنةِ والجَمَاعَةِ – قاطبةً – ؛ من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان – إلى يومنا هذا – ؛ فعقيدتهم واحدةٌ ، لا تتبدَّلُ ، ولا تتغيَّرُ ، أنَّ الإيمان : قولٌ وعمَلٌ .

فإذا رأيتَ (اليَوْمَ !!) من يُثَبِّط المسلمين ، ويقولُ لَهُم : المهِمُّ هو القَلْبُ ، وأن يكون بينك

([1]) (" **فتح الباري** " ٥/١) – لابن رجبٍ – .

وبين اللهِ عَمَارٌ ! وأن يَكُون قلبك طيبًا !! فهؤلاء أُناس يريدون ضياعَ الدِّيْنَ ، وجَعْلَ المسلمين في حالة من الضلال والزيغ ، وإبعادَهُم عن كتاب الله ، وسنَّةِ رسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد نجَحُوا إلى حدٍّ مَا ، مع فئة كبيرة ، وكانت النتيجة هي أنْ بَعُدَ الإنسانُ عن الأعمال التي هي روحُ الإيمان ، ولا يصحُّ إلا بها ؛ لأنه ليس هناك إيمانٌ بدُون أَعْمَالٍ .

فلمَّا بَعُدَ العَبْدُ عن هذا ، وأصبَحَ الإيمانُ بالنِّسْبَةِ لَهُ كلمةً ؛ فيأخُذُ من الدِّيْنِ مَا يُنَاسِبُهُ ، ويَتْرُكُ ما يخالفُ هواهُ ، وقَعَ في الشهواتِ والشُّبُهَاتِ ، وكلُّنَا نَرَى ونَسْمَعُ ما يحدُثُ في بلاد المسلمين؛ سواءٌ على الفضائيات ، أو في شوارع المسلمين ، أو في بيوتهم ؛ فالحاصِلُ أننا وصلْنَا إلى حالةٍ سيئةٍ ومتردِيَةٍ لم يَرَهَا التاريخُ الإسلاميُّ على الإطلاق ، ولم يَمُرَّ بها المسلِمُون قَبْلَ ذلك.

○ أركانُ الإيمانِ عَمَلٌ قلبيٌّ له مقتضى عمليٌّ :

فأركان الإيمان – وإن كانت أشياءَ قَلْبِيَّةً – إلا أنها تُعَدُّ من قبيلِ الأعمال القلبيَّةِ ؛ فأركانُ الإيمان ، هي : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ) ؛ فإذا قال أحدٌ : إنَّ الإيمانَ عملٌ قلبيٌّ ، فأقولُ : نعم ، وله مقتضى عمليٌّ ، وهو : أن تطيعَهُ ، فإذا قلْنَا : تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ؛ فإنَّ المرجئَ المغَالِي يقولُ : أنا مؤمن بكلِّ هذا ؛ فنقول له : فأين برهانُ ذلك ؟ فيقولُ : قَلْبِي مؤمنٌ بكلِّ هذا ، ولكن هذا مجرَّدُ كلامٍ ؛ فليس عنده عملٌ يُثْبِتُ ، أو يُبيِّن صِدْقَ ما يدَّعيه من الإيمان.

ومستحيلٌ أن يكون العبدُ مؤمنًا بذلك ، وهو مستمرٌّ في المعاصي والذنوب ، بل والإعراضِ عن طلب الحقِّ ، وعن دينِ الله وشرعِهِ ؛ فهذا كلام يُضادُّ وينافي حقيقة الإيمان ، ولهذا قلنا : إنَّ الشافعي حكى الإجماع عن الصحابة قاطبة والتابعين ومن بعدهم ، والشافعيُّ توفي سنة مائتين وأربع وخمسين ؛ أي : في القرون الأولى المفضلة ؛ فكان قريبًا (جدًّا) من عهد الصحابة والتابعين ؛ فنقل الإجماع على أن الإيمان : قولٌ وعملٌ .

○ والصلاة عملٌ ؛ فما السبَبُ الذي جَعَلَ بَعْضُ العُلَمَاءِ يُكَفِّرون تاركَهَا ؟

قالوا : لأنَّهُ من المحال أن يكون العبْدُ مؤمنًا بأن الصلاة ركنٌ من أركان الإسلام ، وهى أول ما

يحاسبُ عليْهَا ، ثُمَّ يَتَخَلَّفُ عن أدَائِهَا ؛ فكيف تتخلَّفُ بالكلية عن عمل شيءٍ أنت مؤمنٌ بِهِ ؟! وكيفَ يجتمع الإيمان والتصديق في القلب مع التخلُّف عن العمل ؟! اللهمَّ إلاَّ في بعض أوقات ضعف الإيمان ، مثل : إنسانٍ يصلِّي باستمرارٍ ، ولكن انتابتْهُ حالةٌ من الفتورِ ؛ فَتَرَكَ صلاةَ الفَجْرِ – مثلاً – أو : صلى بعدم طمأنيْنَةٍ ، ولكن يتْرُكُ الصلاة بالكليَّةِ ؟!! هذا صعبٌ ، وهذا هو الذي جعل أصحاب هذا القول يكفرونَهُ ، ونحن لا نكفِّرُهُ ، ولكن هذه وجهتهم ، وهي وجهةٌ قويةٌ .

○ فالتصديقُ يَقْتَضِي العَمَلَ :

فلو أنت عندك يقينٌ أنَّ خَلْفَ هذا الباب لصٌّ يقف لك ، وإذا خرجت سيؤذيك بما معه من سلاحٍ ؛ فهل ستخرجُ ؟ كلاَّ ؛ لن تخرُجَ مطلقًا ، وإذا قال لك أَحَدٌ : هناك حريقٌ قد نَشَبَ من أول الشارع ، وسيأتي عليك ؛ هل ستظلُّ مكانك تحتَسِي الشاي أم سَتَهْرَبُ ؟

فكذلك التصديق يقتضي العمل ، وإذا لم تعمل ؛ فإيمانُكَ فِيْهِ خَلَلٌ ، أو فِيْهِ ضَعْفٌ .

○ الإيمانُ المُطْلَقُ مُسْتَلْزِمٌ للأَعْمَالِ :

قال شيخُ الإسلامِ ([1]) :

" وَمِمَّا يَدُلُّ مِنْ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْأَعْمَالِ ؛ قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة:١٥] " ؛ فدلَّ ذَلك عَلَى أنَّ الإيمانَ مُقْتَضَاهُ العَمَلُ ؛ لأنَّهُ ذَكَرَ السُّجودَ ، وهو عَمَلٌ.

والآياتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذلك كثيرةٌ (جدًّا) ، ولكن هذا استدلالٌ من ضِمْن الاستدلالاتِ .

قال الأوزاعيُّ – رحمه الله – : " لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إلَّا بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إلَّا بِالْعَمَلِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ " ([2]) .

([1]) (" مجموع الفتاوى " ٧/١٦٠) .

([2]) أخرجه ابْنُ بطَّةَ في " الإبانة " (برقم : ١٠٩٧) ، واللالكائيُّ في " شرح أصول الاعتقادِ " (٥/٩٥٦) .

لِكَي تكون مؤمنًا ؛ فلابد من النُّطْقِ بالشهادة ، ثم العملِ ثُمَّ النية ؛ لأنَّ العملَ بغَيْرِ نِيَّةٍ مردودٌ على صاحبه ؛ فإذا كانت نيتُهُ فاسدةً ؛ فلا يُقْبَلُ عملُهُ ، وهذه الأمور تدلُّ على أن الإيمان قول وعملٌ ونيةٌ ؛ كما قال الأوزاعي – وهو من أكابر علماء التابعين – .

● **الأدلة علي أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ :**

أولاً : لابُدَّ أن تعلم أن القولَ قوْلانِ : قولُ اللسانِ ، وقولُ القلبِ .

وسنذكر الأدلة من الكتاب والسنة على كلٍّ منهما ؛ حتى يتبيَّنَ لك أنَّ هذا هو الحقُّ .

❶ **أولاً : قولُ اللسَانِ :**

١ – قال اللهُ – عزَّ وجلَّ – : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] .

● **والشَّاهِدُ** من الآيةِ ؛ قَوْلُهُ : ﴿ قُولُوا آمَنَّا ﴾ ؛ أي : أنَّ الإيمان قولٌ .

٢ – وقال – تَعَالَى – : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤].

٣ – وقال – تَعَالَى – : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] .

● **والشَّاهِدُ** من الآيةِ ؛ قَوْلُهُ : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ ؛ فالإيمانُ – هنا – قولٌ ، ولكنَّ الله ينفي عنهم هنا الإيمانَ ؛ فقال لهم : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ ؛ لأن الإيمان أعلى ، واستدل بهذه الآية من فرَّق بين الإيمان والإسلام ، وقال : إنَّ الإيمانَ أَعْلَى من الإسلام ؛ لأنَّ الله سبحانه وتَعَالَى ؛ قَالَ – لَهُمْ – : ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ؛ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا.

٤ – وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : « **مَنِ القَوْمُ؟ – أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ –** » قَالُوا : رَبِيعَةُ. قَالَ : «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**» **قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:** «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**»(١) .

فهنا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال – لَهُمْ – : « أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : « شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » ؛ فهذا قولٌ ، وقولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ » ؛ فهذا عَمَلٌ ، وسيأتي – مَعَنَا في موضعٍ آخَرَ – ، ولكن أُرِيْدُ أَنْ نَأْخُذَ قولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " ؛ لأن هذا يدلُّ على أن الإيمان قولٌ .

٥ – وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً ؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » (٢) ؛ فالنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إِنَّ الإيمان بضعٌ وستُّون شُعْبَةً ، ثُمَّ قَالَ : « قَوْلُ » ؛ فدلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الإيمان قولٌ .

فهذه أدلةُ قولِ اللسانِ .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٣) ، ومسلمٌ (١٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٩) ، ومسلمٌ (٣٥).

❷ ثانيًا : قول القلبِ :

اعلم أنَّ أول مَنْ قَالَ بـ : (قَوْلِ القَلْبِ) ؛ شيخُ الإسلام – رحمه الله – ؛ فقد كان علماء السلف يعتبرون أن الإيمان قولُ اللسانِ ، وتصديقُ القلبِ ، وعملُ الجوارح ، ولم يُفَصِّلُوا ، ولكنَّ شيخَ الإسلامِ ابن تيميةَ – رحمه الله – ، عندما فَصَّل كان ذلك لعلَّةٍ ، وقولُ القلبِ هو التصديقُ ؛ لأنَّ القلب لا يتكلَّم ؛ فتكون مصدقًا من قلبك ، وليس عندك شكٌّ ؛ فهذه التقسيمةُ قسَّمَها شيخُ الإسلام ، وإن كان السلف متَّفِقِين علَيْهَا كجُمْلَةٍ .

❍ الأدلَّةُ عَلَى قَوْلِ القَلْبِ :

١– قال – تَعَالَى – : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

وقولهُ : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ ؛ أي : ليس هناك شَكٌّ في قُلُوبِهم .

فاليوم عندما يجلسُ أحَدٌ أمام الفضائيات ، أو أَمَامَ أيِّ زنديقٍ مبتدِعٍ ؛ فيتأثر بكلامِهِ ، ويحدِّثُ عندَهُ يَشُكٌّ ؛ فهذا الشَّخْصُ ضُرِبَ إيمانُهُ في مَقْتَلٍ ؛ فلا يجوز الشَّكُّ ، ولو لحظةً ، وإلا يكون الإيمان قد ذهَبَ ! وهذا هو قولُ القلبِ .

فنحنُ نرى (اليوم !) قُلُوبَ المسلمين – وإيمانَهم – تُضرب بالشبهاتِ ، والغرض من ذلك ؛ إنشاءُ أجيالٍ كافرةٍ وملحدةٍ ؛ فينشأ الطفلُ من صغرِهِ ، وهو يجلس بجانبِ الأبِ ؛ ليشاهد هؤلاء ، وهذا منتهى الجهل ! فالأب يُخيِّل له الشيطانُ أنه يسمعُ – فقط – ؛ لكي يردَّ ويدافعَ ! والولد الصغيرُ يتشبَّعُ قلبُهُ من هذه الشبهات ؛ إن لم يكن قلب الأبِ أو الأمِّ تشبَّع – أيضًا – ، ولكنْ كلُّ إنسانٍ يأخُذُ ما يستحقُّ .

فالإيمانُ لا يصحُّ معه الشَّكُّ :

قال – تَعَالَى – : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ ؛ فأيُّ نوع من أنواع الشك في دين الله يُخْرِجُ من الملةِ ؛ لقولهِ : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ .

إن سألتك : هل أنتَ مؤمنٌ بوجودِ اللهِ ؟ فالإجابةُ سَتَكُونُ : نَعَم ، وكذلك إن سَأَلْتُكَ ؛ هل أنت مؤمنٌ برسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فالإجابةُ ستكونُ : نعم ؛ لكن ثمَّ قيدٌ مذكورٌ ، وهو : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ .

هل هناك جنَّةٌ أو نارٌ ؟ نعم .

أو هل سنُحَاسَبُ ؟ نعم .

أو هل المسلمُ (وَحْدَهُ) هو الذي يَنْجُو؟ نعم .

أَلَيْسَ يمكن أنَّ النصارى تَنْجُو مِثْلَنَا ، وندخل الجنة – جميعًا – ؟!! لا .

إنَّ أيَّ شكٍّ في هذه الأمور ؛ فإنه يُخْرِجُ من الملَّةِ ؛ لأنَّ هذهِ الأمورَ فطرةٌ في الإنسان ، ويَعْلَمُ أنها حقائقُ .

إنَّ الذين أعرضوا عن تعلُّم دين اللهِ تُضْرَبُ قلوبُهم بمُنْتَهَى اليُسْرِ ، ولا تجدُهُم يُخْبِرُون أحدًا ، ولكن إذا تحاوَرْتَ معَهُم تجدُ قلوبَهم مليئةً بالشكِّ ، وتجِدُ بعضَ النساءِ منهن كثيراتٌ خَلَعْنَ الحجابَ وغيرُهُن يَلبسْنَهُ ، ولكن من الداخل عنْدَهُنَّ شكٌّ ، والذي أوصل الحال إلى ذلك إنما هو البُعْدُ عن دين الله ؛ فلم يوفِّرُوا ساعةً ؛ لِيَجْلِسُوا في حَلْقَةٍ عِلْمٍ ؛ ليتعلَّمُوا دينَهُم ؛ فلقد تعلَّموا كلَّ شيءٍ ما عَدَا الدين ؛ فكان الجزاءُ من جنس العمل ؛ فلما أهْمَلُوا تعلُّم دينهم ؛ كان الجزاء أن عُوقبوا بِسَلْبِ الإيمان ؛ فهؤلاء الذين يشكِّكُون الناس في دينهم ؛ فهذه عقوباتٌ من الله سبحانه وتَعَالَى .

٢ – قال – تعالى – : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة:٤١] ؛ أي : لا تَحْزَن عَلَى مَنْ يُسَارِعُون إلى الكفر ؛ لأنهم منافقون يقولون بألسنتهم : آمَنَّا ، وهم لم يؤمنوا ، ولم تؤمن قلوبهم !! فدلَّ على أن الإيمان في القلب محلُّه القول ؛ فهم ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ؛ إذن ؛ الإيمانُ قولٌ ، ولكن القلبَ لم يؤمن ، ولكنَّ اللسان (وحْدَهُ) الذي نَطَقَ بها ؛ فهذه علامةُ قولِ القلبِ .

٣- قال رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ .. الحديثُ »[1].

❍ الأدلة على أنَّ الإيمان عملٌ :

والعمل ينقسم إلى قسمين :

١ - عمل القلب .

٢ - وعمل الجوارح :

وأعمال القلوبِ كثيرةٌ (جدًّا) منها : الخشية ، والخوف ، والرجاء ، والإنابة ، والمحبة ، والرهبة ، والرغبة ، والتوكل ؛ فكلُّ هذه أعمال في داخل القلب ؛ فترى العبد قلبه خائفًا من الله ، أو وَجِلاً عند سماعِ كلامِهِ ، أو منيبًا إليه ، أو معتمدًا متوكلاً عليه.

هل التوكل عملٌ ظاهرٌ ؟

لا ، هو عملٌ قلبيٌّ ؛ فالمتوكل (تراهُ) جالسًا في سكينةٍ ؛ متوكلاً على ربِّهِ في تيسيرِ أمرِهِ ، وتدبُّرِ حالهِ ؛ فالتَّوكُّلُ محلُّهُ القلْبُ .

لو ذهبت أعمالُ القلوبِ من القلب لضَعُفَ الإيمان :

لأنَّ أصْلَ الإيمان محلُّهُ القلب ، وأيضًا ؛ أصل المعاصي محلها القلوب ؛ فلو امتلأ القلبُ بأمراض القلوب ؛ من الحقد ، والحسد ، والرياء ، والاستهانة بالنِّعَمِ ، وذهب منه أعمالُهُ ؛ كالخوف ، والرجاء ، والإخبات ، والإنابة ، والمحبة ، والرهبة ، والرغبة ؛ فلن يظلَّ إيمانُهُ كما هو !!

---

(١) أخرجه أبو داود في " **السُّنَن** " (٤٨٨٠) ، وأحمد في " **المسندِ** " (١٩٧٧٦) ، وأبو يعلى في " **المسندِ** " (برقم : ٧٤٢٣) ، والبيهقيُّ في " **السنن** " (١٠/ ٢٤٧) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ بهِ . وهو في " **صحيح الجامع** " (٧٩٨٤) ، و " **المشكاة** " (٥٠٤٤ / التحقيق الثاني) ، و " **صحيح الترغيبِ والترهيب** " (٢/ ٥٨٩) .

لذلك عندما ترى أحوال (كثيرٍ) من المسلمين تعلم لماذا ضاع الإيمان ؛ لأنك ترى الشخص في الظاهر طيبًا ، ولكن إذا احتككت به ؛ تَجِد عندَهُ من الكبر ، والتعالي ، والفَخْرِ ، وربَّما الخداع ، والغشّ ، والكذِب .

فالقُلُوب مليئةٌ بالأمراض ، وإذا سألتهم : هل عندكم إيمانٌ من خشيةٍ ، أو رغبةٍ ، أو توكلٍ ؟ فلن تجِدَ ؛ فالقلب خاوٍ من أعمال القلوب ! في حين أنه مُلئٌ بالأمراض ؛ فأصبح فاسدًا .

إذن ؛ فالقلب يحتاجُ إلى مراعاةٍ ، ومجاهدةٍ ودفاعٍ ؛ حتى يُنقَّى من هذه الأمراض ، ثم يُملأُ بأعمال القلوب ؛ لأن هذا هو أصلُ الإيمانِ .

❑ الأدلَّةُ عَلَى عَمَلِ القَلْبِ :

١ – قال – تَعَالَى – : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٤].

والوَجَلُ : هو الخوف ، والاضطرابُ ، والرهبة ؛ فيوجل القلب عندما يسمعُ العبدُ عن الله ، وعن صفاتِ جَلالِهِ ؛ من العظمةِ ، والقوةِ ، والجبروتِ ، ويسمع عن أهوال يوم القيامةِ، والوجل عملٌ قلبيٌّ .

٢ – وقال – تَعَالَى – : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

فالحبُّ من أعمال القلوب .

٣ – وقال – تَعَالَى – : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

فالرغبة والرهبة من أعمال القلوب.

٤– **والإخلاصُ** ؛ قال – تَعَالَى – : ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر:١٤] ، وقال : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر:٢].

٥– وقوله : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٠] .

والتوكُّلُ – وهو صِدْقُ اعتمادِ القَلْبِ عَلَى الله – عملٌ قلبيٌّ .

٦ – وعن أبي هريرة ﷺ ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » [١] .

والحياءُ عملٌ قلبيٌّ ، وهو شعبةٌ من الإيمان .

فدلَّ ذلك على أن القلب له أعمالٌ ؛ لذلك قلت : إن أعمال القلوب غاية في الأهمية ؛ لأنها هي التي فيها صلاح القلوب.

٧ – وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ » [٢] .

وقولهُ : (أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ) ؛ أي : أكثرُ شيءٍ فيه قوَّة ؛ الحبُّ في الله ، والبغضُ في اللهِ ، **والحُبُّ والبغضُ** محلُّهما القلب.

٨ – وقال رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» [٣] ؛ **فالتَّقْوى** مَحلُّها القَلْبُ.

والتقوى : هي الخوفُ من ربِّ العالمين ، ومحاسبة النفس ، وهذا لا يراهُ أحدٌ ، ولكن مقتضاه يظهر على العبد .

❍ ولابُدَّ من معرفة الفرق بين القولِ ومُقْتَضَى القولِ ، وكذلك العَمَل ومُقْتَضَى العملِ .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٩) ، ومسلمٌ (٣٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في " المصنفِ " (٣٤٣٣٨) ، وأحمد (١٨٥٢٤) ، والطيالسيُّ في " مسندِهِ " (برقم : ٧٤٧) ، وحسَّنَهُ – لغيرِهِ – الألبانيُّ في " **صحيح الترغيب** " (٣٠٣٠) ، وله شواهدُ ؛ فانظر : " الصحيحة " (٨٩٨) ، و" صحيح الجامع " (٤٣٠٤) .

(٣) أخرجه مسلمٌ (٢٥٦٤).

أمَّا مقتضى القول :

فقد ذَكَرْنَا أنَّ الإيمان أن تؤمن بالله ؛ فَهَذَا قولٌ ، ولكن مقتضاهُ العَمَلُ ، وضربت – لكم – مثلاً ، وهو: أنك لو كنتَ خائفًا من شيءٍ ؛ فإنك ستَتَّقِيْهِ ؛ فلو علمتَ أنَّ هناك أذى ؛ فلن تقتربَ منه ، وكذلك لو أنتَ مؤمنٌ بالله ؛ فمقتضى الإيمان بِهِ : أن تتبع بأوامره ، وتنته عن نواهيه، وإلا يكونُ إيمانُكَ ناقصًا ، وهذا هو مقتضى القولِ.

وأما مقتضى العَمَلِ : فعندما قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» ؛ فالتَّقْوَى عملٌ قلبيٌّ ، ولكن لها مقتضىً عمليٌّ ، وليس كما يَزْعُمُ الضَّالون الذين يقولُونَ : يكفي القَلْبُ ! فنرُدُّ عليهم ، ونقول : لا ؛ فإذا كانت أعمال القلوب محلها القلب ؛ إلاَّ أنَّ لها مقتضى يظهر على الجوارح – ولابُدَّ – ؛ فمن يتَّقِي الله ويخافُهُ ؛ فمقتضى ذلك أنه عند رؤية الحرام يبتعد عنه ؛ **مثالٌ على ذلك :**

● قولُ الله – تَعَالَى – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣] .

فكيف تَظْهَرُ التَّقْوى في الصيام ؟

حين تكونُ في البيتِ بِمُفْرَدِكَ ، وأمامَكَ الطعامُ والشَّرَابُ ، والتَّقْوى محلُّها القلبُ ؛ لكِنْ (مُقْتَضَاهَا) جعَلَكَ تَرَى الطعامَ ، ولا تَقْرَبُهُ ، وترى الماءَ البَارِدَ ، وأنت تموتُ عطشًا ، ولا تقربُهُ ؛ فظهرتْ عَلَى الجوارِحِ ؛ رغم أنَّ محلَّها القلْبُ.

لذلك إذا قال أحدٌ : أنا قلبي طيبٌ ؛ فَقُلْ له : وما الدليل على ذلك ؟! كيف يكونُ قلبُك طيبًا وتكذِبُ ، أو : تسرق ، أو : تفتري على العباد ، أو : تفعل الفواحشَ ؛ فهذا مستحيلٌ ومدخلٌ من مداخل الشيطان .

وهذا هو الكلام الذي لبَّسوا به على الأمة أمورَ الدينِ ، ونشأ جيلٌ من الشباب والفتيات ، وهم يعتقدون أنَّ أهم شيءٍ القلبُ الطيبُ ، **ولكن ما هي علامات القلب الطيبِ ؟!**

فالقلبُ الطيّبُ : هو القلبُ السليمُ الخَالِي من الشهواتِ والشُّبُهاتِ ، المملوءُ بأعمال القلوبِ ؛ قال – تَعَالَى – : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٨٩] ؛ فهل هذا هو قلبك يا من تدَّعِي طيبةَ القَلْبِ ؟!

إنَّ صاحب القلب الطيب تراه لا يُزَكِّي نَفْسَهُ أمام الآخرين ؛ قال – تَعَالَى– : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم:٣٢] ؛ بل تراه – دائمًا – يتَّهِم نفسَهُ ، ويرى أنَّهُ أقلُّ الناس ؛ لأنه مَهْمَا عَمِل يَعْلَم أنَّهُ مقصِّرٌ مع ربِّهِ ؛ مقارنَةً بنعمِهِ عليهِ ، وأما مَنْ يدَّعي التقوى وطيبة القلبِ ؛ فقلبُهُ – في الحقيقةِ – غافلٌ .

○ وماذا يفعل من يجاهدُ نفسَهُ ، ولكنه يزِلُّ أحيانًا ، ويقَعُ في المعصيةِ ؟

قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **سَدِّدُوا وَقَارِبُوا** »[1] ؛ فليس في البشر ملائكةٌ ، ولَسْنَا أنبِيَاءَ ، ولا أحدٌ – مِنَّا – كلُّ أقواله وأعماله وأحواله مستقيمةٌ ؛ فلا أحَدَ يدَّعي ذلك ، ولكن سددوا وقاربوا ؛ **فالأصل** : أنك عبْدٌ تؤمنُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتعلم أن هناك حسابًا ، وعقابًا ، وأعمالك ؛ الغالبُ عليها : التقوى والخوف ، ولكن لا يمنع ذلك أن تضعف ، وتزل في معصية ؛ لأنك بشرٌ ، ولكن – سريعًا – ما تعودُ إلى ربك ؛ فليس المقصودُ تركَ المعصيةِ بالكلية ، ولكن ترك الإصرار عليها ؛ فالمؤمن الحقُّ لا يُصِرُّ على المعاصي ، وإلا ؛ فإيمانه غيرُ كاملٍ ؛ فلا يجوزُ أن تعلم – مثلاً – أن هذا ربًا ، ثم تُصِرُّ على التعامل بذلك ؛ بفتوىً من شيخٍ ! ولكن يمكِنُ أثناء سيرك إلى اللهِ تَزِلُّ قدمُك ، أو تضعُفُ ؛ فهذا واردٌ ؛ فنحن بشرٌ ، ولكن ليس هذا هو الأصلَ عندكَ .

○ أعمالُ الجَوارِحِ :

فنحنُ ذَكَرْنَا قولَ القلبِ ، وعملَ القلبِ ؛ لأننا قلْنَا : إنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ؛ قولُ القلبِ ، وقولُ اللسانِ ، وعملُ القلبِ ، وعملُ الجوارح.

فعملُ الجوارحِ ؛ دليلٌ على الإيمان والتصديق لما أَيْقَنَ بِهِ القلبُ ، ونَطَقَ بِهِ اللسانُ .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٤٦٣) ، ومسلمٌ (٢٨١٦).

فلا يمكن أن تكونَ مؤمنًا بالله ، وموقنًا أنَّ هُنَاكَ جَنَّةً وَنَارًا ، وَعَذَابًا ، ويومًا مقدارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ لا تَعْمَلُ لهذا اليوم ؛ لأنَّ هَذَا الإيمان القلبيَّ ؛ مقتضاهُ : أنْ يَظْهَرَ عَلَى الجوارح ؛ إما في صورة صلاة ، أو صوم ، أو تُقيم حدود الله ، أو تبتعد عن معاصيهِ ، أو تبحث عن كلِّ أمرٍ من أوامرهِ ، وتسعي وتجتهد فيه ، وقد قال رسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا » [1] ؛ أي : تجاهد وتحاول ما استطعتَ .

○ الأدلَّةُ على عمل الجوارح :

١ – قال – تَعَالَى – : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣].

وجمهور المفسرين على أنَّ قولَهُ : ﴿ إِيمَانَكُمْ ﴾ ؛ أي : صلاتَكُم ؛ فالصلاة – هنا – ؛ قيل عنها إيمانٌ ، مع أن الصلاة أعمالُ جوارحَ .

إذن ؛ الإيمانُ يدخلُ فيه أعمالُ القلوب ، وأعمالُ الجوارح ، وقولُ اللسان ، وقولُ القلب ، وهذا هو المقصودُ بالإيمان ؛ فليس مجرَّدَ كلمة .

٢ – وقال – تَعَالَى – : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٧].

واعلم أنَّ (البرَّ) إذا أُطْلِقَ في القرآن ، أو أطلقَ لفظ (التقوى) ؛ فهما يشْمَلانِ الدين كلَّهُ ، وهذا هو قولُ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ؛ فهذه الألفاظ إذا جاءت مطلقةً ؛ فإنها تَعْنِي : الديْنَ كاملاً ؛ أي : إيمانُك كلُّه ؛ ففي الآية بيَّنَ الله – تَعَالَى – (البِرَّ) بأنَّهُ :

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ ؛ فهذا عملٌ قلبيٌّ .

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾؛ فالزكاة عملُ جوارحَ .

﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ ، والصلاةُ عمَلُ جوارحَ .

﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ ، والوفاءُ ، والصبرُ عملٌ قلبيٌّ .

فاشتملت الآيةُ على أعمال القلوبِ ، وأعمالِ الجوارح ، وقولِ اللسان ، وقولِ القلب ، وهذا هو المقصودُ بالإيمانِ في القرآن ؛ فالعلماء لا يقولونَ شيئًا من عنْدِهِم ، ولكن رزقهم اللهُ قلوبًا وعقولاً سليْمَةً يستنْبِطُون بها الأحكام ، وهؤلاء الجُهَّال الذين يَظْهَرُون على الفضائيات ! ويقولُونَ : أَنْتُم لَيْسَ عِنْدَكُم غيرَ ابنِ تيمية ؛ فَهَل ابنُ تيميةَ يؤلف دينًا من عند نفسهِ ، أم سبقه الأئمةُ الأعلامُ ، والجهابذةُ الكبارُ ؛ فلقَدْ فَتَحَ اللهُ عليهم بتقوى قلوبهم ، وسلامة نفوسهم؛ فبدؤُوا يَرْوُون الأحْكَام ويستَنْبِطُونها ؛ إمَّا من القرآن أو السنة ؛ فتفسير القرآن أخذوه عن الصحابة أو التابعين ، ومن الأحاديث – كذلك – مع فَتْحٍ من الله لهم ؛ فيُدَلِّلون عَلَى هذا الفَتْحِ بالآيات ، ولا يقُولُون : هذا فتحٌ من اللهِ – فقط – ؛ حتى لا يخرج علَيْنَا أيُّ أحدٍ ويقولُ أيَّ شيءٍ !! ثُمَّ يقولُ : هذا فتحٌ من الله ؛ فهذا غيرُ صحيحٍ ، ولكن الفَتْحَ من الله الذي فتحه على هؤلاء العلماء ؛ موافقٌ للكتاب والسنة ، ولم يخرج عنهما ؛ فهؤلاء العلماء عَلِمُوا ما معنى حَقِيْقَةِ الإيمانِ من خلالِ النُّصوصِ والأدلةِ .

٣- وقال – تَعَالَى – : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:٢٨٥]، وفي الآية دليلٌ على وجوبِ العملِ.

○ الدليلُ عَلَى الإيمانِ يزيدُ وينقصُ :

عقيدة أهل السنة والجماعة هي أنَّ الإيمان يزيدُ وينقصُ ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، والدليلُ ؛ كما يلي في كثيرٍ من الأدلةِ :

١ – قال – تَعَالَى – : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال:٢] ، **والشاهِدُ** ، هو : قولُهُ : ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ .

٢– وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [مُحَمَّد:١٧] .

٣– وقوله : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٤] ؛ فهذا دليلٌ على أنَّ الإيمان يزيدُ .

٤– وقوله : ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر:٣١] ، والآياتُ الدالةُ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ كثيرةٌ في القرآنِ .

٥– وقالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ** »[١].

دلَّ ذلك على أن الإيمانَ يَنْقُصُ بشُرْبِ الخَمْرِ ، والزِّنَا ، والسَّرِقَةِ ، ولكنَّهُ لا يخرج من دائرة الإسلامِ .

قال ابْنُ بطة – رحمه الله – (٢) : " يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَإِذَا تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ ".

وهذا هو معتقدُ أهلِ السنةِ والجماعةِ – قاطبةً – أنَّ إيمانه نَقَصَ بالسَّرقة ، والزِّنا ، وشُرْبِ الخمر، إلى آخره ، ولكنه لم يخرج من الملة ؛ فَخَرَجَ –كما قال ابْنُ بطَّةَ وغيرُهُ من علماء السلف

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٤٧٥) ، ومسلمٌ (٥٧).

(٢) (" **الإبانةُ** " ٨٥٤/٢) .

– من الإيمان إلى الإسلام ، ولم يخرج من الإسلام إلى الكُفْرِ ؛ فإذا زَنَا ، أو سَرَقَ ، أو قَتَلَ ؛ فكُلُّ هذه الأمور إذا فعلها بضعفِ إيمانِهِ ؛ فهو مسلِمٌ فاسقٌ ، وهناك أدلةٌ على ذلك ، ولا نفعلُ كما فعل الخوارج الذين يُكَفِّرُونَ مُرْتَكِبَ الكبيرةِ .

اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بالشَّهَادَتَيْنِ ؛ فإنَّهُ كَافِرٌ :

فَمَنْ لم يَقُلْ : (أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول اللهِ) ؛ فهو كافر إلاَّ أن يكون عنده مشكلةٌ في لسَانِهِ ؛ سواءٌ كانَ أَخْرَسَ ، أو يُعاني من شيءٍ ؛ فهذا أَمْرُهُ مختلفٌ ، ولكن أنا أتكلَّمُ عن الشخص الطبيعيّ المكلَّف العَاقِلِ ؛ فإذا لم ينطِقِ (الشَّهَادَتَيْنِ) يَكْفُر ؛ فلابُدَّ مِنَ النُّطْقِ بالشهادتينِ .

ولكنهم اختلفوا في حكم تارك (الأركان الأربعة ([1])) ؛ هل يكفر أم لا ؟

وهذا لمن تركها كسلاً ، وليس جحودًا ؛ لأنَّ مَنْ تركها جحودًا وعنادًا ؛ فهذا كافرٌ خَرَجَ من الملة لا خِلافَ فيه ؛ لأنَّهُ رَفَضَ كتاب الله وسنة رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورَفَضَ الدِّيْنِ ، وكذَّبَ القرآنَ والسُّنَّة ، ولكن اختلفوا : فيمن ترك هذه الأركان كسلاً وتهاونًا ، مثْلَ شخصٍ ترك الصلاة – فقط – تهاونًا وكسلاً ، أو ترك الصيام ، أو الحج ، أو الزكاة ؛ فهناك فيه نزاع بين أهل العلم ؛ خاصةً في أمر الصلاة ، والزكاة ؛ فكثيرٌ من أهل العلم كفَّرُوا تارك الصلاة ، والزكاة ، ومنهم من لم يكفِّرْهُ.

ولكن أهل السنة والجماعة : متَّفِقُون على أنَّ المسْلِمَ لا يَكْفُرُ بالذَّنْبِ ، ولكنَّهُ ينقصُ إيمانهُ بالذنوبِ والسيِّئاتِ ، ويَزْدادُ إيمانُهُ بالطاعاتِ وتركِ المعاصي والمحرَّماتِ .

([1]) وهي الصلاةُ ، والزكاةُ ، والصومُ ، والحجُّ .